

**النظام في طهران أمريكيّا "غير واقعية"**

عبد الباري عطوان  
وإسرائيل ستكون الخاسـر الأكـبر سـلمـاً أو حـربـاً.. وإليـكم أكـثر السـيـنارـيوـهـات تـرجـيـحـاً

أهم رد صادر عن السُّلطات الإيرانية تجاه الشُّروط الأمريكية الـ12 التي طرحتها مایك بومبيو، وزير الخارجية الأمريكية، في إطار تهدياته الاستفزازية، ورد على لسان الرئيس حسن روحاني عندما قال "من أنتم حتى تُقرُّونا عن إيران والعالم".

صُدور هذا الرَّد القوي على لسان رئيس إيران "إصلاحي"، وعلى هذه الدرجة من القُوّة والاستخفاف بأمريكا وتهديداتها، يعني أن إيران كلها، بمُعتدليها قبل مُتشدديها، ستقف في خندق واحد في مواجهة أي عدوانٍ أمريكيٍ، سواء كان حصاراً اقتصادياً تجويعاً أو هجوماً عسكرياً.

السيد اسحاق جاها نغيري، نائب الرئيس الإيراني كان مُصيّداً عندما قال "أن" بومبيو جاء مُتأخّرًا 40 عامًا، فالشّعب الإيراني قام بالثّورة حتى لا يُملّى عليه أحد ما يَجِب أن يفعله". لاحظنا أن بعض الأشقاء الخليجيين تعاطفوا بسخرية مع رد الفعل الإيراني على التهديدات الأمريكية، خاصّة تلك التي صدرت عن الرئيس روحاني، وأعادوا إلى الأذهان في تغريداتهم، وتعليقاتهم على وسائل التواصل الاجتماعي، استخدام العبارة نفسها من قبل الزعيم الليبي الراحل عمر القذافي، وغاب عن ذهنهم، أن "من أنتم الإيرانيّة" تختلف كُلّيًّا عن "من أنتم القذافيّة" لأسباب عديدة، أبرزها أن إيران الحالية ليست مثل ليبيا التي كانت معزولة ومحاصرة عربيًّا، ولا تَملُك جيشًا ولا حلفاء أقوياء.

لبيا العقيد القذا في، كانت لا تَهْلِك أدوات الانتقام، والقدرات على الـ "دُعَسْكَر" ، فقد سُلِّمَت

أسلحتها الكيماوية لأمريكا، وفكّكت برنامجها النووي، وخلعت كلّ أنيابها ومخالبها طَوْعًا، وسلّمتها للمُحتال الأكبر توني بلير، رئيس وزراء بريطانيا الأسبق، مُهانًا إلى ذلك أنّ إسرائيل بـعيادة كُلْيَّاً عن مَرمى نيرانها، بينما الحال يبدو مُخْتَلِفًا كُلْيَّاً في الحال الإيرانية: لعدّة أسبابٍ زُوِّجَتْها في النُّقطات التالية:

ثانيةً: ربّما لا تَمْلُك إيران ما تملكه كوريا الشماليّة من صواريخ بعيدة المدى قادرّة للوصول إلى العُمق الأمريكي، ولكن ما لَدِيهَا يكفي للوصول إلى حُلفاء أمريكا وقواعدها في المِنطقة، ونحن نتحدّث هنا عن إسرائيل أوّلاً، والقواعد الأمريكية في دُوَّل الخليج ثانيةً.

– ثالثاً: التهديدات الأمريكية الأخرى قد تدفع إيران إلى تعزيز وجودها في سوريا المرشحة لكي تكون ميدان المواجهات مع إسرائيل حتى لو اعترضت موسكو على ذلك، وهي قادرة في هذه الحالة للوصول إلى حifa وتل أبيب ويافا وعكا وصفد والقدس المحتلة.

رابعاً: تَمَلُّك إِيرَان "مِيلِيشِيات عَسْكَرِيَّة" تُشَكَّل جُيُوشًا مُوازِية، مِثْل الْحَرْس الثُّورِي الإِيرَانِي، و"حَزْب الله" في لِبَنَان، و"أَنْصَار الله" في الْيَمَن، و"الْحَسَد الشَّعْبِي" في الْعَرَاق، و"حَمَاس" في الْأَرْضِ الْمُحتَلَّة، وَهَذِه الأَذْرَعُ الْعَسْكَرِيَّة، مُجَدَّمَة أو مُتَفَرِّقة، يُمْكِن أَن تَحُوَّل إِلَى أَذْرَعٍ ضَارِّ بَلْ لِزَعْرَة أَمْن وَاسْتِقْرَار إِسْرَائِيل وَمُعْظَم دُوَل الْخَلِيج الَّتِي سَارَعَت لِلتَّرْحِيب بِالاستِرَاتِيجِيَّة الْأَمْرِيكِيَّة الْجَدِيدَة.

الورقة الأقوى سياسياً التي تَمْلِكُها إيران، إلى جانب أوراقها العسكرية الأخرى، أزّها ليست الطّرف البادئ بالتصعيد، ولم تنسحب من الاتفاق النووي، وبات مُعظم دول العالم تنظر إليها من مَنْظور "الضحى" المُسْتَهدفة من قبل الاستكبار والغطرسة الأميركيين، وهذا ما يُفسّر حالة القلق الراهنة على مُستوى العالم، وأوروبا الحليف الأميركي الأوّل، تجدها.

الإدارة الأمريكية عاقدة العزم على إعادة العقوبات التي كانت تفرضها على آستانة قبل الاتفاق النووي، الأمر الذي سيلحق أضراراً كبيرة بمصالح دولتها الأوروبيين في ظل التهديدات بمنع شركاتهم من دخول الأسواق الأمريكية إذا ما استمرت في التعامل مع إيران، الأمر الذي سيدفع شركات صينية وروسية إلى ملئ أي فراغ ينجم عن انسحاب هذه الشركات، وهذا ما يفسّر تصريحات السيدة فيديريكا موغيريني، وزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي، التي انتقدت فيها التهديدات الأمريكية، وأكدت أنّه لا يوجد أي حل بديل للاتفاق النووي.

العقوبات الاقتصادية الأمريكية المفروضة على إيران، ومهمما كانت شدتها، لن تُطيح بالذّمام

الإيراني، ومن المُستَبعد أن تدفع بالشَّعب الإيراني، أو الأقليةَات العِرقيةَ في وسطه، للثَّورة لتَغيير النَّظام، لأنَّ هذا الشَّعب استوعب دروس ثورات الربيع العربي المدعوم مُعْظَمها من أمريكا وحلفائها، والدمار الذي حل بدول شعوب عربيةٍ من جَرائِها، مثلما تعلَّمت الحُكُومة الإيرانية نفسها من تجارب ليبيا والعراق، وما حل بهما عندما وقعت في مِصيَّدة الخداع الغربيَّة، وسلَّمتا أسلحتهما الكيماوِيَّة، والقُبُول بالتفتيش الدَّولي وشُروطِه المُهينة بالتَّالي.

ما يُؤلِّمنا أنَّ الدول الخليجيَّة الشقيقة التي تشهد طفرات ماليَّة وعقاريَّة، واستقرارًا امنيًّا وسياسيًّا، ستكون أحد أبرز صحايا هذه الاستراتيجيَّة الأمريكية الجديدة ضد إيران، ماليًّا وعسكريًّا، فالرئيس ترامب سيدُّلها بتسديد فاتورة الحرب التي بدأ يُردِّد مقولته بأنَّها جاءت من أجل حِمايتها، مُخافِيًّا إلى ذلك، وهذا هو الأهم، أنَّ الصَّاروخ الإيراني ستَسْتهدِف مُدُنها والقواعد الأمريكية المُتواجدة على أرضها كحدٍّ أدنى، أي أنَّ تدمير إيران لو حدث، لن يتم بمَعْزلٍ عن تَدمير دول خليجيَّة تَقف في الخندق المُقابل لها، ومن يقول غير ذلك لا يَعرِف أمريكا، ويَجهَل بتاريخ الحرب في المنطقة والعالم.

\*\*\*

أمريكا إذا حاربت إيران اقتصاديًّا أو عَسْكريًّا فإنَّها تفعل ذلك ليس من أجل حِماية دول الخليج وإنَّما إسرائيل، ومَشروع هيمتها على المِنطقة، وإزالة أي مُناهِس لها، والرَّبط بين المصالح الأمنيَّة الخليجيَّة والإسرائيлиَّة، جاء لتبَير توظيف الأموال والأراضي الخليجيَّة في خدمة أي حَربٍ أمريكيَّة تكون إسرائيل رأس حربتها، ولخُطَّة مَصالِحها.

إسرائيل هي التي وضعت شروط بومبيو الـ12 التي تريد فرضها على إيران، وهي التي تُريد استخدام القُوَّة العسكريَّة الأمريكية العملاقة لتحييد الخطَّر الإيراني المُفترض، مثلما فعلت الشيء نفسه عندما ضخَّمت الخطَّر العراقي، ونجحت في مُخطَّط تغيير النَّظام في العراق عبر بوابة المُحافظين الجُدد.

كوبا، وللتَّذكير فقط، واجهَت الحِصار الأمريكي لأكثر من خمسين عامًا، ولم ترکع ولم تنحن، ولم يتغيَّر نِظامها رغم الضُّغوط الشَّديدة، وقطاع غزَّة الذي لا تَزيد مساحته عن 150 مِيلاً مُربَّعًا، واجهَ الحِصار وثلاث حُروب، ولم يُسلِّم سلاح مُقاومته، فإذا كانت جزيرة صغيرة مثل كوبا بشَّعبٍ صغيرٍ، وتاريخٍ مُتواضعٍ، استطاعت الصُّمود والمُقاومة، وكذلك قِطاع غزَّة المُحاصر المُجَوَّع، فكيف سيكون حال قُوَّة إقليميَّة عُظْمى مثل إيران تَملُك إرثًا حصاريًّا يمتدُ لأكثر من ثَمانِينيَّة آلاف عام؟

أمريكا تُوشِّك على ارتکاب حماقةٍ سياسيةٍ عَسْكريَّةٍ كُبرى في مِنطقتنا العربية، ولن تكون مَضمونة النَّتائج هذه المرَّة، ونَجَزِّم بأنَّ إسرائيل وبعض الحُكومات الخليجيَّة قد تَدْفع ثَمَدَها غالِيًّا من مالِها وأمْنِها واستقرارِها ورَخائِها.. والأيَّام بَيْنَذَادَ.

